**المحاضرة الثامنة: آفاق تطوير الفكر الخلدوني**

رغم أن ابن خلدون يعتبر أحد أهم الباحثين في مجال التاريخ من خلال تدوينه للأحداث التاريخية بكل ظروفها وبأسبابها الاجتماعية والمناخية والجغرافية، وعلم العمران الذي كان بمثابة استشرف لعلم الاجتماع، ولعل الأثر الأبرز الذي تركه هذا المفكر هو كتابه المعنون ب: المقدمة الشهيرة (المختصرة لمؤلفه الضخم كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، الفاعلة، والمؤثرة، حتى اللحظة، ويعود السبب في ذلك، وفق رأي الباحثين ولدارسين لأثره، إلى أن الأسئلة والإشكالات الهامة التي طرحها الكتاب (من خلال ملاحظاته السوسيولوجية بالمعنى الحديث للسوسيولوجيا) لا تزال هي الأسئلة المطروحة على التاريخ حتى اليوم.

وبكل تأكيد نقول أننا نرى أن الأبحاث التي صدرت عنه (التي تناولته شخصيا بالتحليل أو عالجت المقدمة)، غير كافية حتى الآن للإحاطة بجميع جوانب ومهام وأهداف ابن خلدون سواء من خلال علم العمران الخلدوني، أو من خلال نتاجاته العلمية التي تركه لنا. وهو ما يؤيده الباحث البعلي ويدفعه للإسهام في إلقاء المزيد من الضوء على نتاج هذا المفكر الكبير، كما يفعل الغرب مع مفكريه بنظرية الانتاج وإعادة الانتاج العلمي.

ابرز ما جاء به ابن خلدون أن العلم هو جمع المادة العلمية والبحث عن أسبابها وعللها لتفسيرها ثم الوصول إلى القوانين العلمية التي تتحكم فيها، وقد صرح بأنه استوعب أخبار الخليقة استيعابا كاملا، لأنه فسر الظواهر الاجتماعية وحوادث الدول بعللها، وهو يتبع في ذلك المنهج العلمي الذي يقوم على الخطوات التالية (أنظر جميل صليبا):

-ملاحظة الظواهر الاجتماعية في الشعوب التي احتك بها وخاصة البدو والحضر من المغرب العربي.

-تتبع الظواهر في تاريخ الشعوب نفسها في العصور السابقة لعصره.

-تتبع أشباهها و نظرائها في تاريخ شعوب أخرى لم تتح له الفرصة للاحتكاك بها.

-مقارنة و موازنة هذه الظواهر مع بعضها البعض، و قياس الماضي بالحاضر، لمعرفة طبائعها و عللها و ما تؤديه من وظائف في حياة الأفراد و الجماعات.

-استنتاج القوانين التي تسير بموجبها هذه الظواهر. و ما نستنتجه أن منهجه العلمي يقوم **ثلاث ركائز أساسية:**

**أ-ملاحظات حسية:** مشاهدته و احتكاكه المباشر للعمران البشري أو الشعوب التي عاشرها.

**ب-التأصيل التاريخي:** أي الرجوع إلى التاريخ.

**ج-الاستنتاج العقلي:** عمليات عقلية يجريها على هذه المواد ليستنتج القوانين التي تتحكم في الظواهر.

وبالتالي هذه هي الاسس التي يجب أن ننطلق منها لتطوير وبعث الروح العلمية والفكرية لأفضل عالم ومفكر عربي.

**المحاضرة التاسعة: الفكر الخلدوني وموقفه من:**

**(الكمياء، علم الكلام، الفلسفة، التصوف، السحر، التراث اليوناني، ...)**

إن مقدمة ابن خلدون من خير ما كتب في علوم الإنسان في العصر الذي كتبت فيه، ممثلة لأدق النظريات العلمية والاجتماعية والتاريخية والفكرية، وبمعنى آخر هي خير دليل لمن أراد الاطلاع على أحوال وصنوف وأنواع المعرفة في عصر ابن خلدون، ولعل ذلك سر بقائها بقيمتها الفكرية حتى عصرنا الراهن.

هنا قبل الحديث عن موقف ابن خلدون من العلوم، نتطرق في البداية إلى تصنيفه للعلوم.

قسم ابن خلدون العلوم إلى قسمين: أولهما نقلي طبيعي وثانيهما عقلي وضعي، لقد وجدنا أنه لم يقتصر على العلوم الأساسية فقط، وإنما أثبت معها ما كان مقدمة لها وضرورة، حيث إن عملية تحصيل العلوم لا يمكن أن تتم إلا بمعرفة مقدماتها، فهو يدرج العلوم التالية للعلوم الأخرى.

إن الفكرة الأساسية عند ابن خلدون هي: أنَّ ثمَّة طائفتَين من العلوم، لكلِّ طائفةٍ منها أداة صالِحة لتحصيلها، هما العلوم العقلية والعلوم النقلية. أما الأولى فأداة تحصيلها هي الحواسُّ والعقل، وأما الثانية فسبيلُها إلينا هو الوَحي. ويقَع الخلْط إذا نحن حاوَلْنا أن نستخدِم الأداةَ الأولى في المجال الثاني.

هنا يقول ابن خلدون: "اعلَم أنَّ العلوم التي يَخوض فيها البشَر ويتداولونها في الأمصار تحصيلًا وتعليمًا هي على صِنفَين: صنفٌ طبيعي للإنسان، يهتدي إليه بفِكره، وصنف نَقْلي يأخُذُه عمَّن وَضَعَه. والأول هي العلوم الحِكْمية الفلسفية، وهي التي يُمكن أن يقِف عليها الإنسان بطبيعةِ فكره، ويهتدي بمَداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها، وأنحاء براهينها، ووجوه تعليمها، حتى يَقِفَه نَظَرُه (أي يُطْلِعه) ويَحُثَّه على الصواب من الخطأ فيها، من حيث هو إنسان ذو فكر. والثاني هي العلوم النقلية الوضعية، وهي كلها مُستندة إلى الخبَر عن الواضع الشَّرعي، ولا مجال فيها للعقل، إلَّا في إلحاقِ الفروع من مسائلها بالأصول، بوجهٍ قياسي، إلَّا أنَّ هذا القياس يتفرَّع عن الخبَر بثبوتِ الحُكم في الأصل. وهو نقليٌّ، فَرَجَعَ هذا القياسُ إلى النقلِ لتفرُّعِه عنه"[[1]](#footnote-1).

**موقف ابن خلدون من العلوم:**

1. **موقفه من الفلسفة:** في الفصل الرابع والعشرين من "المُقدِّمة"، وعنوانه: "في إبطال الفلسفة وفساد مُنتحلها" يشرح ابن خلدون رأيه في الفلسفة، فيبدأ بعرْض طبيعتها، ثم يُعقِّب على ذلك ببيان أوجه بُطلانها، "وينطلق في ابطاله للفلسفة من تأكيده أن الفلسفة مرتبطة من حيث نشوءها بالتطور الاجتماعي ومتعارضة مع الدين لادعائها إمكانية امتلاك المعرفة بعامة تأسيسا على العقل وعبر الذين اعتمدوا قانونا يميز بين الخطأ والصواب، ومن خلال استيعابه سيرورة الفكر الفلسفي (اليوناني) منذ أرسطو والاتصال المجتمع العربي الإسلامي من خلال الترجمة" [[2]](#footnote-2)، إذن الفلسفة التي يعنيها ابن خلدون هي فلسفة أرسطو وامتدادها في المجتمع العربي الإسلامي.
2. **موقفه من علم الكلام والتصوف:** لقد عدّ ابن خلدون كلا من علم الكلام والتصوف من العلوم الحادثة في الملة، وإن لم يذكر التصوف كعلم نقلي أو شرعي، "غير أن وضعهما متتاليين في "المقدمة" بما يوحي بأن التصوف قد يعوض علم الكلام في نظره، كما يوحي بتداخل بينهما يكمن في ما يعنى به كل علم وهو الباطن والأصول، في مقابل الظاهر الذي هو من مهمة الفقيه المعني بالفروع؛ بمعنى أن التصوف وعلم الكلام يهمهما جانب التصورات في الدين، أو الجانب القلبي، في مقابل اهتمام الفقه بالجانب العملي"[[3]](#footnote-3).
3. **موقفه من الكيمياء والسحر:** في الفصل الثلاثون الخاص بعلم الكيمياء، يسرد ابن خلدون ان الكيمياء (التي يعرفها باختصارها في تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب) من آثار النفوس الروحانية وتصرفها في عالم الطبيعية، إما عن طريق الكرامة إذا كانت النفوس خيرة، أو عن طريق السحر لأن الساحر في رأي ابن خلدون يستطيع قلب الأعيان كما حدث من سحرة فرعون وما يحدث من سحرة الهند والسودان... وهو يرى أن الكيمياء إذا صح وجودها فهي ليست من الصنائع الطبيعية، وإنما هي من الأمور المتعلقة بالسحر والخوارق الخارجة عن حكم الصنائع.

1. المقدمة، ص 435. [↑](#footnote-ref-1)
2. غسان اسماعيل عبد الخالق الفطاطفة، موقف ابن خلدون من علم الكلام والفلسفة، مجلة تاريخ العلوم، العدد العاشر، ديسمبر 2017، ص 9. [↑](#footnote-ref-2)
3. ساعد خميسي، موقف ابن خلدون من علمي الكلام والتصوف، جامعة منتوري،قسنطينة. [↑](#footnote-ref-3)